منظوماتٌ في صَنْعَةِ التَّدريسِ

للإمام الحافظ المصلِحْ المطّلِع محمّد بن علي السّنُوسي

[1202هـ - 1276هـ]

اعتنى بها وقدّم لها:

الأستاذ الشيخ عادل محمد مختار المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الذي أوتي جوامع الكلم، ومعادن الحكم، وعلى آله وصحبه منبع الجود والكرم.

أما بعد:

اعلم أيها الباحث الطلعة، والنقّاب الخرّيت، الذي يستنطق الدفاتر، ويفاتش الكتب، وينقب عن جواهر المعرفة ودقائق الحكمة؛ أنّ علماء الأمة نوعوا العلوم، وألفوا فيها ما بين منثور ومنظوم ومختصر ومبسوط ووجيز ووسيط، ووضعوا كتبا مفردة في طرائق التأليف والتدريس والتعليم والمناظرة والجدل والمطالعة والفهم والإفهام، وذكروا آداب العالم والمتعلم والمدرس والمؤلف والمناظر، وقعّدوا في ذلك قواعد مهمة، وضوابط جمّة، ومن الكتب النافعة في معرفة هذه الآداب:

ترتيب العلوم لساجقلي زاده، والقانون لليوسي، كشف الظنون في مقدمته، إرشاد القاصد لابن الأكفاني، مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده، مفاتيح العلوم للخوارزمي، أبجد العلوم للقنوجي، إحصاء العلوم للفارابي، ومباحث في مقدمة ابن خلدون، رسالة في مراتب العلوم لابن حزم ضمن رسائل ابن حزم، مقدمة كشاف اصطلاح الفنون للتهانوي، ومباحث في نور البصر للهلالي، وكتاب الابتهاج بنور السراج لأحمد بن عبد المؤمن البلغيثي، شرح به سراج طلاب العلوم للمساري، التعريف بآداب التأليف للسيوطي، تعليم المتعلم طرق التعلم للزرنوجي، نشر طي التعريف للحبشي، تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، نور ثمر الثمام في آداب الفهم والإفهام للأمير الكبير، فيض الحرم في آداب المطالعة لأحمد بن عيسى المولوي.

ومن الكتب النافعة في معرفة هذه الآداب: جامع بيان العلم لابن عبد البر، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، ومقدمة المجموع للنووي، ومباحث في

كتاب العلم من إحياء علوم الدين للغزالي، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وكتاب الغزي، والعلموي، وغيرها كثير طيب.

وإنما ذكرت هذه لا على سبيل الحصر، ولكن لكونها من أهم ما ألف في هذه الآداب، أردت أن أقدم بها بين يدي ثلاث منظومات في صنعة التدريس، للإمام الحافظ المصلح المطلع المشارك صاحب الفتح القدوسي سيدي مُحَّد بن علي السنوسي رضي الله عنه، أوردها حفيده العلامة أحمد الشريف ضمن كتابه فيوضات المواهب المكّيّة، وذكر قبلها كلاما لجدّه منثورا، جله منقول من قانون اليوسي، وهذه المنظومة وأمثالها مرآة مكبّرة تُظهر مدى التمكن العلمي والتفوق الحضاري الذي وصلته أمّتنا على أيدي علمائها الأفذاذ، فسبقوا بذلك علماء النفس والاجتماع والتربية في وضع نظريات كاملة شاملة تامة، في السلم التعليمي بأركانه الثلاث: المعلم والطالب والكتاب، وما دخلت الأمّة في نفق التقهقر إلا لما تخلت عن تراث أسلافها، وتقمّصت مناهج لا تمت لحضارتنا بصلة، غابت عنها النظرة التكاملية في المعرفة: الله والكون والإنسان، ولتعرف خطورة هذا الكلام أنصحك بقراءة كتاب: في الطريق إلى ثقافتنا للعلامة محمود شاكر، وتحقيقه لدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

موجز ترجمة الإمام السّنوسي

السيد الأستاذ محمَّدُ بْنُ عليٍّ السنوسيُّ، أبو عبدالله، الخطَّابيُّ الحسنيُّ الإدريسيُّ، شيخ الطريقة السنوسيَّة الأوَّلُ ومؤسِّسها، صاحب الجْبل الأخضر، الشهير الذكر الرفيع القدر، الفقيه الحافظ، العالم العامل، شهرته تغني عن التعريف به، أتباعه الذين يُعرفون بالإخوان السنوسيِّين منتشرون في اليمن والحجاز والشام والسودان ومصر وأفريقيا.

وُلد في مستغانم بالجْزائر عام (1787/1202)، وتعلَّم بها وبفاس، ثمَّ زار تونس وطرابلس ومصر ومكَّة والمدينة، وبنى بمكَّة زاويته الأولى (زاوية أبي قبيس)، ثمَّ غرَّب إلى برقة سنة (1840/1255)، ودخل الجْبل الأخضر سنة (1841/1257) فبنى (الزاوية البيضاء) وغيرها من الزوايا، وكثُر إخوانه وانتشرت طريقته، ثمَّ رجع إلى الحجاز، ثمَّ غرَّب ثانية إلى برقة وأسَّس (زاوية العزِّيَّات)، ثمَّ انتقل إلى واحة (الجْغبوب) وأسَّس بها زاويته الكبرى، وأقام بها إلى أن تُوفِّي سنة (1859/1276).

له أكثر من أربعين كتابًا ورسالة، منها المطبوع ومنها المخطوط.

يُنظر لترجمته: السنوسيُّ الكبير 7 وما بعدها، والفوائد الجْليَّة في تاريخ العائلة السنوسيَّة 7/1 وما بعدها، وشجرة النور الزكيَّة في طبقات المالكيَّة 570، 571.[1]

---

[1] هذه الترجمة من كتاب: الدرُّ الفريد الوهَّاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، بقلم المحققين: د. أحمد جاد الله، ود. عبد الغني محمود.

مخطوط المنظومات

لهذه المنظومات نسخة فريدة، ضمّنها العلامة أحمد الشريف السنوسي في كتابه: فيوضات المواهب المكّيّة، وهو مخطوط، وقد وقع النّاسخ في بعض الأخطاء، وهذه صورة لوحة منه:

[116]

مفسرا بلائق العبارة ،، لحاضر بنافذ الإشارة
مفتقا رتقا لأسرار التى ،، بين التراكيب الحسان قررت
وما لها من المزايا النافعة ،، لدى أساليب المعانى الرائعة
لكن ذا أليق بالذى ارتقى ،، توسطا او انتهاء قد رقى
أما الذى يعرف بالقصور ،، عما مضى من فاقد السرور
فليقتصر له على تركيب ،، مما يطيقه على التدريب
مبينا لمفرداته معا ،، لنسبته وهكذا المستطعا
وبانيا فى كل ذينك على ،، ما جاء فى تفسيره الذى انجلا
وان تفسر قول رب العالمين ،، فأعدد له علومة من دون مين
لغة النحو اشتقاقهم معا ،، صرف معان بالبيان مبدعا
ثم الحديث والقراءة اللذان ،، هما سبيل للعلا ملا اثمان
وناسخ به واسباب النزول ،، واصل فقه لذوى الأصول
هذا الذى يرام بالتقرير ،، بلائق التسميح للتصوير
وثانيها المعنى لحل المشكل ،، وما بمعناه برهم مذهل
فبعد أن يفرغ مما قد مضى ،، فلينصرف لحل ما قد عرضا
حيث يكون صارفا الفهم ،، لما عرا لبعضهم من وهم
ونحوه مذاهب الضلال ،، كما المحل الأحرى بالأشكال
وعارض الوهم مقررا لها ،، بحق تقرير لغاية انتها
بدون ما طيش وجد وضرر ،، مهاية كذب كذاك اشتطار
ثم يكر راجعا لنقضها ،، فردا فردا الانتهاء فرضها
بما سيأتى من واضح السواطع ،، ومن جلى البراهين القواطع
بواضح الألفاظ والعبارة ،، ونافذ الرموز فى الإشارة

والفرض

منظوماتٌ في صَنْعَةِ التَّدريسِ

للإمام الحافظ المصْلِحْ المطّلِع محمّد بن علي السّنُوسي

[1202هـ - 1276هـ]

اعتنى بها وقدّم لها:

الأستاذ الشيخ عادل محمد مختار المغربي

المنظومة الأولى

قال الإمام الحافظ الحجة المصلح المرشد سيدي مُحَمَّد بن علي السنوسي رضي الله ناظما آداب تدريس العلوم والمصنفات لاسيما الحواشي التي هي بغرر الفوائد فواشي:

يَا طَالِبًا صِنَاعَةَ التَّدْرِيسِ ... دُونَكَهَا سَمْحًا بِلَا تَلْبِيسِ

تَقْرِيرُ مَتْنٍ مَعْ تَبْيِينِهِ عَلَى ... مَا فِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَحَشْوٍ حَصَلَا

وَحَلِّ مَا أَشْكَلَ مَعْ تَوْجِيهِ ... مَا مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْجِيهِ

فَأَوَّلًا فِي الصَّنْعَةِ الْمُخْتَارَةْ ... تَصَوُّرًا بِوَاضِحِ الْعِبَارَةْ

مُفَسِّرًا لِمُفْرَدَاتِ الْمَتْنِ ... بِلَائِقٍ مِنْ وَضْعِ عِلْمِ الْمَتْنِ

وَالصَّرْفُ وَالشَّرْعُ مَجَازُ حَقِّ ... مُنْفَرِدٌ مُشْتَرِكٌ فِي النُّطْقِ

وَمُفْرَدٌ تَثْنِيَةٌ جَمْعَيْنِ ... مَمْنُوعُ صَرْفٍ ضِدُّهُ النَّوْعَيْنِ

وَمُعْتَلٌّ الصَّحِيحُ [مَعْ مِثَالِ][2] ... إِلَى تَمَامِ السَّبْعَةِ الْأَفْعَالِ

وَمَا لَهَا مِنَ الْفُرُوعِ الْعَشَرَةْ ... وَمَا لَدَى صَرْفِهِمُ مُنْتَشِرَةْ

وَغَيْرُهَا مِنْ لَازِمِ التَّقْرِيرِ ... لِذِي الْمَرَامِ النَّاتِجِ النَّحْرِيرِ

ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِمَّا لَزِمَا ... بِمُفْرَدَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَا

رَجَعَ لِلتَّرْكِيبِ سَابِكًا عَلَى ... أَوْضَحِ نَهْجِ الْمُعْرَبَاتِ الْمُجْتَلَى

---

[2] في المخطوط (والمثال).

مُفَسِّرًا بِلَائِقِ الْعِبَارَةْ   لِحَاضِرٍ بِنَافِذِ الْإِشَارَةْ

مُفَتِّقًا رَتْقًا [لِلَاسْرَارِ][3] الَّتِي   بَيْنَ التَّرَاكِيبِ الْحِسَانِ قَرَّتِ

وَمَا لَهَا مِنَ الْمَزَايَا النَّافِعَةْ   لَدَى أَسَالِيبِ الْمَعَانِي الرَّائِعَةْ

لَكِنَّ ذَا أَلْيَقُ بِالَّذِي ارْتَقَى   تَوَسُّطًا أَوِ انْتِهَاءً قَدْ رَقَى

أَمَّا الَّذِي يُعْرَفُ بِالْقُصُورِ   عَمَّا مَضَى مِنْ فَاقِدِ الْمُرُورِ

فَلْيَقْتَصِرْ لَهُ عَلَى تَرْكِيبِ   مِمَّا يُطِيقُهُ عَلَى التَّدْرِيبِ

مُبَيِّنًا لِمُفْرَدَاتِهِ مَعَا   نِسْبَتِه وَهَكَذَا لِيَسْطَعَا

وَبَانِيًا فِي كُلِّ ذَيْنِكَ عَلَى   مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ الَّذِي انْجَلَا

وَإِنْ تُفَسِّرْ قَوْلَ رَبِّ الْعَالَمِينْ   فَاعْدُدْ لَهُ عُلُومَهُ مِنْ دُونِ مَيْنْ

لَغَةٌ النَّحْوُ اشْتِقَاقُهُمْ مَعَا   صَرْفٍ مَعَانٍ بِالْبَيَانِ مُبْدِعَا

ثُمَّ الْحَدِيثُ وَالْقِرَاءَةُ اللَّذَانِ   هُمَا سَبِيلٌ لِلْعُلَا مُلَائِمَانِ

وَنَاسِخٌ بِهِ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ   وَأَصْلُ فِقْهٍ لِذَوِي الْأُصُولِ

هَذَا الَّذِي يُرَامُ بِالتَّقْرِيرِ   بِلَائِقِ السَّمِيعِ لِلتَّصْوِيرِ

وَثَانِيهَا الْمَعْنَى لِحَلِّ الْمُشْكِلِ   وَمَا بِمَعْنَاهُ بِوَهْمٍ مُذْهِلِ

فَبَعْدَ أَنْ يَفْرُغَ مِمَّا قَدْ مَضَى   فَلْيَنْصَرِفْ لِحَلِّ مَا قَدْ عَرَضَا

---

[3] في المخطوط (لِأَسْرَار).

حَيْثُ يَكُونُ صَارِفًا لِلْفَهْمِ لِمَا عَرَى لِبَعْضِهِمْ مِنْ وَهْمِ

وَنَحْوِهِ مَذَاهِبَ الضَّلَالِ كَمَا الْمَحَلُّ الاحْرَى بِالْإِشْكَالِ

وَعَارِضُ الْوَهْمِ مُقَرِّرًا لَهَا بِحَقِّ تَقْرِيرِ لِغَايَةِ انْتِهَا

بِدُونِ مَا طَيْشٍ وَجِدٍّ وَضَرَرْ مَهَابَةٍ كِذْبٍ كَذَاكَ الْمُسْتَطَرْ

ثُمَّ يُكَرِّرُ رَاجِعًا لِنَقْضِهَا فَرْدًا فَفَرْدًا لِانْتِهَاءِ فَرْضِهَا

بِمَا سَمَا مِنْ وَاضِحِ السَّوَاطِعْ وَمِنْ جَلِي الْبَرَاهِينِ الْقَوَاطِعْ

بِوَاضِحِ الْأَلْفَاظِ وَالْعِبَارَةْ وَنَافِذِ الرُّمُوزِ فِي الْإِشَارَةْ

وَالْفَرْضُ أَنَّ مَنْ هُنَاكَ أَهْلُ لِذَاكَ أَوْلَى بِالْعُدُولِ أَصْلُ

مُقَرِّرًا لَهُ بِمَا لَا يُفْضِي لِمُشْكِلٍ عَلَى سَبِيلٍ يُرْضِي

المنظومة الثانية:

إِذَا رُمْتَ دَرْسَ الْعِلْمِ وَالدَّرْسُ قَدْ حَوَى   فَطِينًا لِبِيبًا ثَاقِبَ الذِّهْنِ ذَا عِلْمِ
وَغَيْرَهُ اشْرَحْ مَتْنَ دَرْسِكَ مُتْقِنًا   مُحَلِّلَ إِشْكَالٍ عَزُوًّا لَهُ تُنْمِي
وَبَعْدَهُ عُدْ لِلنَّقْلِ فَاعْزُ غَرِيبَهُ   وَحَقِّقْ قَضَايَا نَافِذَ النَّقْلِ وَالْفَهْمِ
مُفَتِّقُ أَسْرَارَ التَّرَاكِيبِ مُبْدِيًا   مَزَايَا أَسَالِيبِ الْمُرَكَّبِ فِي النَّظْمِ
مُبِينُ نكاتٍ لِلنُّصُوصِ الَّتِي بِهَا   عَلَى مَا بِهِ سَيْلُ الْبَيَانِ غَدَا يَهْمِي
بِإِشْكَالِ مَا قَدْ ظَنَّ أَنَّهُ وَاضِحٌ   وَإِيضَاحُهُ إِيضَاحَ حَقٍّ بِلَا فَصْمِ
وَإِن لَّمْ يَكُنْ إِلَّا الْقَوَاصِرَ فَاقْتَصِرْ   عَلَى أَوَّلِ الْأَبْيَاتِ تَحْظَى بِذِي عِلْمِ
عَلَى أَنَّهُ يُعْطَى الْمُخَاطَبُ كُلَّمَا   تَطَلَّبَ مِنْ بَحْثٍ وَشَرْحٍ لِمُبْهَمِ

المنظومة الثالثة:

إِذَا رُمْتَ تَعْلِيمَ امْرِئٍ رَامَ مَهْيَعًا ... مِنَ الْعِلْمِ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ عَلَى عَزْمِ

فَبَادِرْ لِشَرْحِ الْمَتْنِ مَنْ قَدْرِ وُسْعِهِ ... لِأَنْ يَعْلَمَنْ مِنْهُ الْمُرَادَ عَلَى جَزْمِ

وَلَازِلْتَ تُعْلِيهِ لِذَرْوَةِ أَوْجِهِ ... مُحَلِّلَ إِشْكَالًا تَعَرَّضَ لِلْفَهْمِ

عَلَى أَنَّهُ يُعْطَى الْمُرِيدُ لِمَا لَهُ ... تَطَلَّبَ مِنْ بَحْثٍ وَشَرْحٍ لِمُبْهَمِ

فهرس المحتويات